07/04/2021

متروبوليت اوستراليا للروم الارثوذكس باسيليوس حاضر عن فيلوكاليا الآباء النساك مكتبة الروحانية الأرثوذكسية



وطنية – الكورة – قدم متروبوليت اوستراليا، نيوزلندا والفيليبين المطران باسيليوس محاضرة بعنوان "فيلوكاليا الآباء النساك مكتبة الروحانية الأرثوذكسية"، برعاية بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس يوحنا العاشر، في مناسبة اليوبيل الذهبي لمعهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي البلمند، نقلت مباشرة عبر صفحة المعهد على "فايسبوك".

بداية، رحب الارشمندريت مكسيم جمل بالمتروبوليت باسيليوس معرفا عن مسيرته ودراساته الكهنوتية، ثم تحدث باسيليوس قائلا: "الحديث اليوم هو عن الفيلوكاليا وبالتحديد "فيلوكاليا الآباء النساك أو الآباء اليقوويين" أي الفيلوكاليا التي جمعها ونشرها القديسان نيقوديموس الآثوسي ومكاريوس الكورنثي عام 1782. وتسمى فيلوكاليا الآباء اليقوويين نسبة إلى اليقظة وهي فضيلة روحية. والآباء اليقوويون هم الآباء الذين كتبوا ومارسوا فضيلة اليقظة أي الإنتباه إلى الأفكار ومنع الشريرة منها من الدخول إلى الذهن وإلى القلب".

وتابع: لم تعد كلمة " الفيلوكاليا" أو نصوص الفيلوكاليا غريبة عن القارئ باللغة العربية. ربما أول لقاء مع هذه الكلمة ومحتواها كان مع الرواية المسيحية

الروسية الشهيرة المترجمة إلى العربية تحت عنوان:" سائح روحي على درب الرب". عندما يسأل السائح الشيخ الروحي عن الصلاة المستمرة وطريقة تعلمها، يقدم الشيخ كتاب اسمه "الفيلوكاليا" الذي يحوي، بحسب تعبيره، "علم الصلاة الداخلية المستديمة مفصل".

وشرح باسيليوس النقاط التالية عبر طرح مجموعة أسئلة والاجابة عنها:
- ما هي الفيلوكاليا؟"
الفيلوكاليا هي نصوص مختارة لبعض من آباء الكنيسة كتبت في الفترة ما بين القرن الرابع والخامس عشر الميلادي وتحتوي هذه النصوص على قسم كبير من التقليد البيزنطي اللاهوتي الصوفي للكنيسة الأرثوذكسية.

– ما هو محتواها؟
تشدد نصوص الفيلوكاليا بالأكثر على العمل والتغيير الداخلي في الإنسان وليس الخارجي. ال تركز كثيرا على التعب الجسدي بقدر ما تهتم أكثر بحفظ النوس أو الذهن. ال تعطي الفيلوكاليا قوانين تفصيلية فيما يتعلق بعدد ساعات الصوم أو عدد ساعات النوم أو عدد السجدات الواجب القيام بها أو عدد ساعات الصلوات والخدم الإلهية ولكنها تركز على الإنسان الداخلي (the inner man) وعلى اليقظة الداخلية (inner watchfulness) وتحقيق الهدف الأسمى من وراء النسك والوصول إلى النتيجة المرجوة منه وهي التأله. أن يهتم المرء بتغيير نفسه أولا وعندئذ يصبح لديه القدرة على تغيير العالم بأسره.

إن الهدف الأساسي للفيلوكاليا هو بلوغ الإنسان التأله theosis, divinization, deification أو الإتحاد مع الله أي المشاركة في قوى الله غير المخلوقة. هذا التأله من الممكن تحقيقه منذ الآن في هذه الحياة من خلال المشاركة المباشرة مع القوى الإلهية غير المخلوقة والتي تقود نحو التأله.

– كيف نقرأ الفيلوكاليا ومن أين نبدأ؟
إن النصوص في الفيلوكاليا تتموضع وفق الترتيب الزمني لكتابتها بدءا من القرن الرابع وانتهاء بالقرن الخامس عشر. فلا يوجد أي دليل أو مرشد على هذه النصوص أيها صالح للمبتدئين وأي نصوص مناسبة للمتقدمين في الحياة الروحية. فنصوص الفيلوكاليا ليست عملا منهجيا ولا أكاديميا، ولكنها كما قلنا سابقا "مدرسة للصلاة القلبية". في كل الأحوال، لدينا حاجة ضرورية لمرشد روحي يساعدنا في اختيار نصوص الفيلوكاليا الملائمة لحالاتنا الروحية.

– تأثير الفيلوكاليا والترجمات المختلفة:

كان تأثير الفيلوكاليا قويا وعميقا ولكن ليس سريعا ومباشرا، إذ احتاجت مدة قرنين قبل ترجمتها في الغرب وقراءتها في معظم اللغات الأجنبية والأوروبية.

– لماذا الفيلوكاليا هي أكثر من كتاب بل مكتبة؟
– الفيلوكاليا ليست مجرد كتاب، بل مكتبة تحتوي على نحو 62 مقالة لـ36 أبا وا 38 من آباء الكنيسة الذين لمعوا في النسك والفضيلة. هذه النصوص تمتد

من القرن الرابع الميلادي حتى الخامس عشر أي من بداية الرهبنة حتى نهاية النزاع البالاماسي- البرلعامي وانتصار الهدوئية. هذه الكتابات تتضمن خلاصة الأدب الروحي النسكي الهدوئي، فيها تعليم عن الفضيلة، الأهواء وطريقة شفائها- أهمية النسك وصلاة يسوع، طريقة حفظ الذهن وطهارة القلب، اليقظة والسكينة.

– يختلف عدد الآباء النساك وكتاباتهم التي تشتمل عليها كل فيلوكاليا باختلاف الترجمات والطبعات. فيزداد عدد النصوص أو ينقص بحسب المحرر والمترجم لكل فيلوكاليا. الفيلوكاليا اليونانية تتضمن 36 كاتبا بينما ينخفض العدد الـ 25 في الفيلوكاليا السلافية إذ يهمل القديس بايسيوس في الفيلوكاليا السلافية بعض النصوص ذات الطابع العقائدي ويركز أكثر على النصوص ذات الطابع النسكي، فيما القديس ثيوفانوس الحبيس يعيد نصوص القديس مكسيموس والقديس بالاماس إلى الفيلوكاليا الروسية ويزداد عدد الآباء والكتابات في الفيلوكاليا الرومانية لتضم إليها كتابات يوحنا السلمي ودوروثيوس غزة، برصنافيوس ويوحنا، اسحق السوري أشعيا النساك لتطبع في 12 مجلدا.

– هذه المكتبة اي النصوص ساهم في جمعها وتحريرها قديسان من آباء الكنيسة الأمناء للتقليد الشريف والتعليم الآبائي، يمثلان الآباء الكوليفاديس وقد اتبعا تقليدا قائما بالفعل وراسخا في الجبل المقدس. نتكلم على تقليد وجود مجموعات آبائية (Paterika) ولذا يتكلم الباحثون على تقليد ما قبل الفيلوكاليا او عن وجود بعض من فيلوكاليا قبل نشر الفيلوكاليا اليونانية (Pre-existing Philokalia) الفيلوكاليا إذا هي جزء من تقليد موجود في الأدب الرهباني النسكي. هذا التقليد يعود إلى الفيلوكاليا الأولى التي جمعها باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي اي "فيلوكاليا أوريجنس" لغاية طباعة الفيلوكاليا اليونانية 1782.

– صحيح أن نصوص الفيلوكاليا اليونانية الأصلية تنتهي مع آباء القرن الخامس عشر وانتصار الهدوئية ولكنها تستمر الى يومنا هذا ما دام الروح القدس ما يعمل في الكنيسة وما دامت الروحانية الأرثوذكسية الفريدة ستبقى معاشة لدى العلمانيين والرهبان في الكنيسة الأرثوذكسية بحسب دعوة القديس نيقوديموس الآثوسي في نهاية مقدمته عن الفيلوكاليا.

– لا يمكن أي فيلوكاليا أن تكون كاملة بمعنى أن تشتمل على كامل الروحانية الأرثوذكسية. لذا فإن القول أن الفيلوكاليا هي "عمل غير مكتمل" ستبقى صحيحة بغض النظر عن عدد المؤلفين أو الأعمال التي يضيفها المحرر او المترجم إلى الفيلوكاليا، هي عمل مستمر يتطور، وبالتالي هي دائما "غير مكتملة".

– إن وجود آباء قديسين معاصرين وفيلوكاليين (Philoklic Elders/Saints) (القديسون بايسيوس الآثوسي وبورفيريوس الرائي، أفرام كاتوناكيا ويوسف الهدوئي، الشيخ إيميليانوس سيمونوبيتراس وافرام أريزونا وغيرهم)

يغنون الكنيسة بخبراتهم وكتاباتهم الروحية، وهي بتوافق تام مع خبرة الكنيسة الأرثوذكسية النسكية والهدوئية يؤكد أن الروحانية الفيلوكالية ما زالت مستمرة والنصوص الفيلوكالية مازالت تكتب وتنشر.
إن الفيلوكاليا هي واحدة من حيث الروح والروحانية، ولكن يمكن الحديث عن فيلوكاليات عدة بالنسبة الى الترجمات والطبعات.

– لم يغلق باب البحث والتدقيق (scrutiny) كليا عن بعض نصوص الفيلوكاليا لمعرفة كاتبها authorship)) أو زمن كتابتها وما زالت الأبحاث جارية أيضا للكشف عن المخطوطات التي اعتمدت مصدرا مشتركا عند جمع الفيلوكاليا اليونانية والفيلوكاليا السلافية”.

وفي ختام المحاضرة، نقل جمل بعض الاسئلة التي طرحت عن موضوع المحاضرة إلى باسيليوس للإجابة عنها.

nna-leb.gov.lb